الشخصيات في رواية "زينة الدنيا" لحسن أوريد – دراسة تحليلية

دكتورة
حَالِمة (Ma Jiaxin)
halimacassiema@gmail.com
دكتوراه الأدب العربي ودراسات المناطق
كلية الآداب – جامعة الإسكندرية
جمهورية مصر العربية

الملخص
تميزت الأندلس بموقع جغرافي متميز واهتم المسلمون بالأندلس منذ أن عبروا إليها وجعلوا منها دولة مسلمة، وفي القرن الثاني الهجري أسس عبد الرحمن الداخل الدولة الأموية في الأندلس. وبرزت في الأندلس شخصية المنصور محمد بن أبي عامر عندما قام الخليفة الأموي الحكم المستنصر بالله بعقد البيعة لابنه الطفل هشام المؤيد بالله، وكان لأول مرة في الأندلس أن يتولى الخلافة الإسلامية في الأندلس طفل لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره، وقد كان هذا سابقة خطيرة في بلاد الأندلس، ونتيجة لتولي هشام المؤيد بالله الخلافة أصاب البلاد الضعف وظهر التصارع على السلطة والسيطرة على الخليفة الضعيف.
وقدر للمنصور محمد بن أبي عامر أن يتصل بالبلاط الأموي في عهد الخليفة الحكم المستنصر، وقد استطاع المنصور محمد بن أبي عامر أن ينفرد بالسلطة شيئاً فشيئاً حتى قضي على منافسيه وأصبح الحاكم الفعلي لبلاد الأندلس، وكان له الفضل الكبير في الحفاظ على وحدة الأندلس وأن يجعل منها دولة قوية، وحقق انتصارات عديدة. وقد شهدت الأندلس في عهد المنصور وابنه عبدالملك تطورًا وارتقاءً في كافة الميادين السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية حيث كان عصرهم امتدادًا لعصر الخلافة، واهتم المنصور بالمنشآت العمرانية وبلغت الأندلس في عهده شأنًا كبيرًا من التقدم الحضاري والازدهار الاجتماعي، ولكن سرعان ما سقطت الدولة العامرية في الأندلس بسبب السياسة الخاطئة التي انتهجها عبد الرحمن بن المنصور.
الكلمات المفتاحية:
زينة الدنيا ، حسن أوريد ، الأندلس ، محمد بن أبي عامر ، المنصور – الأميرة صبح.

Summary
Andalusia was distinguished by its unique geographical location, and Muslims took an interest in Andalusia ever since they crossed into it and established it as a Muslim state. In the second century AH, Abd al-Rahman I established the Umayyad state in Andalusia. The figure of al-Mansur Muhammad ibn Abi Amir became prominent in Andalusia when the Umayyad Caliph al-Hakam (al-Mustansir) pledged allegiance to his young son, Hisham al-Mu'ayyad. For the first time in Andalusia, a

child under the age of fifteen assumed the Islamic caliphate. This was a dangerous precedent in Andalusia. As a result of Hisham's assumption of the caliphate, the country weakened, and a struggle for power and control over the weak caliph arose .Al-Mansur Muhammad ibn Abi Amir was destined to connect with the Umayyad court during the reign of Caliph al-Hakam al-Mustansir. Al-Mansur Muhammad ibn Abi Amir gradually consolidated his power until he eliminated his rivals and became the de facto ruler of Andalusia. He played a major role in preserving the unity of Andalusia and transforming it into a strong state, achieving numerous victories .During the reign of Al-Mansur and his son Abd al-Malik, Andalusia witnessed development and progress in all political, military, economic, social and scientific fields, as their era was an extension of the era of the Caliphate. Al-Mansur paid attention to urban facilities, and Andalusia achieved great progress in civilization and social prosperity during his reign. However, the Amirid state in Andalusia soon fell due to the wrong policy pursued by Abd al-Rahman ibn al-Mansur.

Keywords: The Ornament of the World, Hassan Aourid, Al-Andalus, Muhammad Ibn Abi Amir, Al-Mansur, Princess Subh

تعد رواية (زينة الدنيا) من الأعمال الروائية المغربية المهمة التي صدرت حديثًا للكاتب المغربي المتميز حسن أوريد[1]. وتحكي عن فترة تولي ابن أبي عامر، والذي كان الحاكم الفعلي -بعد وفاة الخليفة الحكم ابن عبد الرحمن الناصر، الملقب بالمستنصر بالله – من وراء الخليفة هشام بن الحكم الذي تولى في سن صغيرة، وكان منصاعًا لأوامر أمه (صبح البشكنجية) التي كانت تقود الأمور في الخفاء إلى جانب ابن عامر.

وتنقل الرواية صورة متكاملة عن حياة الأندلسيين، والأرضية الواقعية من الشارع الاندلسي، ومدى مرونة وتنوع وانسجام الثقافات والديانات واللغات والأجناس التي تتشكل منها نواة المجتمع الأندلسي، وهذا ما يؤكد أن المسلمين لم يفرضوا الاسلام على غيرهم. وعملت رواية زينة الدنيا على طرح قضايا حافلة بالصراعات الدينية والعرقية الناتجة عن المؤامرات والدسائس بين المتصارعين على السلطة، فهي دراسة متأنية لفهم آلية الاستبداد التي تنال نفس ذوي النفوذ، أو بمعنى أوضح الجبروت الذي أصاب نفس ابن أبي عامر الذي عانى رقة العيش بعدما آلت الأمور إليه.

وصورت الرواية بمنتهى الصدق العلاقة بين الحاكم والمحكوم، ونهاية كل طاغية أصابه جنون السلطة والثروة وتخوفه الدائم من المتربصين له. كما صورت عالم الحاشية التي تحيط بالحاكم وتتملقه، وما تفعله من زيف ونفاق ومديح وخوف من تقلبات مزاج ونزوات الحاكم خشية أن يغدر بها (وهو الشعور المسيطر على أي نظام مُطلق). وقد عمل الكاتب على توظيف التاريخ من أجل النظر إلى قضايا جوهرية ملموسة يعيشها العالم العربي في الوقت الراهن، صراع حضارات بين المسلمين والمسيحيين، صراع داخل دار الإسلام بين السُنة والشيعة، ثم هيمنة الاستبداد الذي تمثل في شخصية ابن عامر المعروف بالحاجب المنصور.

فالرواية بمثابة قراءة نقدية للتاريخ، فكما يقول نيتشه التاريخ يصبح عبئًا إن لم يكن موضوعًا للتندر والخيال. ربما تكون شخصية (بشكوال)، (وزيري) شخصيات خيالية، ولكن تحيل إلى

[1] زينة الدنيا، حسن أوريد، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي للنشر.

شخصيات واقعية، ومن ذلك نستنتج أنه من المحتمل أن تكون هناك نوايا مبطنة للمؤلف تحيل للواقع، بأنه ألبس شخصياته أقنعة لشخصيات في الواقع المغربي الراهن. وعلى الرغم من أن لغة حسن أوريد حديثة في أغلب مؤلفاته، إلا أنه استخدم في رواياته التاريخية التي تناقش تاريخ حقبة زمنية بعيدة ألفاظًا معجميةً قديمة، فقد فرضت اللغة القديمة نفسها على الكاتب، فكان من الضروري الكتابة بلغة قريبة من لغة ذلك العصر.

المبحث الأول
الشخصيات الرئيسية (الأبطال)

١. محمد بن أبي عامر: كان اسمه كافياً للقضاء على الإرهاب في ممالك أوروبا خلال العصور الوسطى، وصلت الحضارة الأندلسية في عهده إلى أعلى مستويات الروعة والعظمة. أينما ذهب، كان النصر يتبعه، فمن هو هذا منصور "فتى الأندلس"؟ ولد محمد بن أبي عامر يتيمًا، فكانت والدته تغزل الصوف وترسله لبيعه في الأسواق، ولكي يعيشوا من هذه المغازلة نشأ الصبي محبًا للعلم على غرار والده الذي درس الفقه قبل وفاته في رحلة علمية قادته إلى طرابلس.

وانطلق محمد بن أبي عامر في رحلة طلب العلم إلى قرطبة. وبمجرد وصول محمد بن أبي عامر إلى قرطبة، ذهب إلى مسجدها، وكانت حينها أكبر جامعة لتدريس العلوم الدينية والعلمية في العالم، فدرس على يد أبرز مشايخه، حتى نال الرخص العلمية التي تجعله كاتباً على باب المدينة الملكية "الزهراء "التي بناها الخليفة الناصر لتكون عاصمة خلافته.

والمواهب الأدبية التي امتلكها ابن أبي عامر في أسلوبه الكتابي أهلته للتواصل مع كبار حاشية الخليفة الحكم المستنصر ٣٥٠-٣٦٦ هـ/ ٩٦١-٩٧٦م الخليفة في مدينة قرطبة. وفور وفاة الخليفة الحكم المستنصر، أصبح ابن أبي عامر من أصحاب القرار في الخلافة الأموية في الأندلس، وعزز حلمه القديم بالوصول إلى منصب "الحاجب "وهو الأعلى، موقعه في التسلسل الهرمي للسلطة بعد الخليفة، خاصة وأن الخليفة لم يكن بعد تسع سنوات، وكانت والدته من أشد المعجبين بشخصية ابن أبي عامر.

من هنا يمكننا رؤية شخصية محمد بن أبي عامر الثابتة والرصينة والهادئة، لما يعالج حالة الطوارئ، مما يظهر قدرته وإدارته. ولما يسلّم على جعفر المصحفي، يقدّم له التحية العسكرية ثمّ يسلّم في احترام، ويعرف ابن أبي عامر المعالجة مع المستويات العليا، من ضمنهم جعفر المصحفي وصبح والحكم. ويقترب محمد بن أبي عامر من صبح ؛لأنه يعرف مكانتها المميزة سوف تساعده على أن يقبض على السلطة، ومن نظرية صبح، نعرف ابن أبي عامر يريد أن يقترب من القائد غالب: «لكن ابن عامر مشغول بحشد الجنود لغزوة الشاتئة لصدّ تحرشات النصارى... ثمّ هو يضع في سُلّم الأوليات التقرب من القائد غالب في أفق تنحية جعفر». وبعد إزاحة نفوذ الصقالبة، تغيّر الوضع السياسي في قرطبة، وجدد رأي الناس لابن أبي عامر: «أخذ نجم ابن عامر يعلو بعد عودته المظفرة من غزوته بالحامة ونصره على المسيحيين وعودته بالفيء والسبايا والأسرى ورؤوس القتلى أخذ يظهر بمظهر البطل والحامي للإسلام ...». وبعد الغزوة الأولى لقشتالة، يشكل ابن أبي عامر شخصية لنفسه كنجم الدولة، والمظفر من غزوته، والبطل، والحامي للإسلام، ويعود معه كثير من الفيء والسبايا والأسرى ورؤوس القتلى ليكسب قلوب الشعب في قرطبة.

ويستطيع ابن أبي عامر أن يتقرب من القائد غالب: «استطاع ابن عامر في أول غزوة له أن يتقرب من غالب كما يخدم أي جندي قائده، وأبدى له من التوقير ما كسب به قلب غالب، أبلغه تقدير السيدة الكبرى فاطمأن غالب، وسوّد له صحيفة جعفر، فراقه ذلك، كان غالب يكره جعفراً كما يمقت القادة العسكريون السياسيين عموماً، وكان يضمر له ضغينة كذلك لأن جعفراً نعته بالجبن والعجز عن دفع خطر المسيحيين مثلما أبلغه به ابن عامر».

من هنا نرى أن ابن أبي عامر كان حقاً يضع الأوليات في التقرب من القائد غالب، ويخدمه مثل جندي يخدم قائده، ويخبره تقدير صبح، وغالب أعجبه تودد ابن أبي عامر وخدمته، سيفعل ابن أبي عامر كل ما يتطلبه الأمر لتحقيق أهدافه. كالشخص الأكثر ثقة بجانب السيدة الكبرى صبح، لا يحتاج

إلي أن يخدم القائد غالب، لأن مكانتهما مثل البعض، حتي مكانة ابن أبي عامر أعلى من مكانة غالب. وعلى الرغم من هذا، يخدمه ابن أبي عامر، ويقدره بالشجاعة والقدرة، ويشيع بلبلة جعفر، ويطمئنه ويحميه من دسائس جعفر.

ابن أبي عامر هو رجل سياسي ذو حيلة ذاتية ومعرفة نقاط الضعف البشري. وقد نجح المنصور في إدارة الشؤون الاقتصادية للبلاد، وشهدت البلاد في عهده طفرة اقتصادية وازداد دخل الدولة حتى الضرائب المنتظمة في نهاية عهده.

وفي مجال العمارة، قام المنصور بتوسيع بناء الجامع الكبير في قرطبة حتى أصبح له دور فريد في تاريخ العمارة الإسلامية. وتوفي المنصور أثناء عودته من إحدى الحملات العسكرية ليلة السابع والعشرين من رمضان عام ٣٩٢ هـ ١٠٠٢م. وقبل وفاته أمر بدفنه حيث مات، ودفن في مدينة سالم، إحدى المدن العربية الواقعة شمال المغرب العربي، "مدينة مدريد الحالية، وعاصمة إسبانيا".

٢. صبح البشكنجية: احتلت المرأة الأندلسية مكانة كبيرة في المجتمع، وكانت تتمتع بالقوة والتأثير، ساهمت في السلطة إلى جانب زوجها، وتحكمت في ثروته الخاصة وممتلكاته بكامل الحرية. وفي تاريخ الأندلس، أتيحت فرصًا عديدة لظهور العديد من النساء في جوانب شتى. وكانت المرأة، سواء كانت حرة أو جارية، مساوية للرجل في إدارة الأمور بشكل جيد، الزلفة، زوجة المنصور محمد بن أبي عامر، على سبيل المثال، كانت من النساء الأحرار اللواتي لعبن دورًا في الحياة السياسية، فقد كانت امرأة ذكية قوية الإرادة، ولديها الكثير من المال والهيبة، وكانت تتمتع بنفوذ كبير في بلاط ابنها عبد الملك المظفر ٣٩٢-٣٩٨ هـ ١٠٠١-١٠٠٧ م، المنصور، رغم قوته وشدة طغيانه، فكان يهتدي برأيها ويعمل بموجبه؛ لأنها امرأة ذات خبرات عديدة ومهارة كبيرة وثقة كبيرة بالنفس. لكننا هنا نناقش حياة امرأة ساهمت في صعود نجم المنصور نفسه إلى رأس الدولة، تلك المرأة التي بقيت لفترة طويلة تسيطر على خلافة قرطبة، سحرها وتأثيرها، والمشاركة في إدارة شؤونها في سلام وحرب، مع أعظم رجال الأندلس. وتصفها تواريخ الفرنجة بأنها **"السلطان أو الأميرة صبح"**[1]. وصبح هي جارية باسكينجية من مملكة نافارا الإسبانية، وصبح أو صبيحة هي ترجمة لكلمة أورورا، بمعنى الفجر أو الصباح، وهو الاسم المسيحي الذي حملته. وصلت صبح إلى بلاط قرطبة في عهد الخليفة الحكم المستنصر، ولا يُعرف كيف وصلت إلى بلاط قرطبة.

تصورها رواية زينة الدنيا في بدايتها كالآتي:

«كانت في الأربعينات من عمرها، شقراء اللون، سافرة الوجه، وضاءة المحيا، جميلة القسمات، تضع مقنعة بيضاء على رأسها، استفسرت في غير اكتراث متحدثة العربية بلكنة رومانية: - أين هو أمير المؤمنين؟».

استنادًا إلى ما سبق.. فإن صبح امرأة جميلة في الأربعينات من عمرها، شكلها بشكنسية غير عربية، وهي تتكلم اللغة الرومانية كلغة أم، وأيضا تتكلم اللغة العربية المضطربة في القصر، وهي تأمر الخدام في القصر باللغتين وهي مثل "سلطانة" و"السيدة" غير "أم ولي العهد"، لها مكانة كبيرة عند الخليفة وفي القصر. شغف التسلط عليها وأغدق عليها الخليفة حبه وحنانه، وكانت مجرد فترة حتى كان لها كل تأثيره ورأيه، وزادت براءتها أكثر عندما أنجبت مولودها الأول عبد الرحمن الذي مات صغيرا، وهشام الذي حكم بعد أبيه تحت وصاية صبح. وكانت صبح تتمتع بنفوذ كبير في البلاط، ووثق الحاكم برأيها واستمع لها في كثير من الأمور، كما كان لرأيها تأثير على تعيين الوزراء والمسؤولين الحكوميين. وتصور الرواية المشهد الأول للقاء صبح مع ابنها هشام: «كانت علامات الضجر بادية على الغلام وهو يمشي منكسرًا نحو أمه، لما اقترب من صبح انحنت له، وقبّلت يده، كي تبث في النفوس أنها لا تتصرف كأم مع ابنها، وإنما كواحدة من الرعايا في علاقتها مع الخليفة، استكان الغلام ثم بادرها بصوت خفيض بالرومانية: - أليس لي الحق أن ألهو لبعض الوقت؟ ردّت السيدة صبح بحدّة، والأسماع بعيدة عنها: - أنت الخليفة، أنت أمير المؤمنين، لم تعد مِلكًا لنفسك. ... ينبغي أن تستقبل الحاجب جعفر المصحفي في أمر هام، هو في انتظارك.... حتّام تفكر في اللعب؟ بعد الديوان سيأتي المؤدب الزبيدي كي يعلّمك اللغة العربية».

---

(1) محمد عبد الله عنان، الخلافة الأموية والدولة العامرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ص٥٢٠.

«-اللغة العربية عسيرة، لماذا تريدينني أن أتعلمها؟- ؛لأنها لغة أجدادك بني أمية.... ينبغي أن تفهم ما يقوله لك وجهاء القوم والرعية من المسلمين ممن يأتون من عدة أصقاع، من الأندلس والعَدْوَة، وكل أرجاء بلاد المسلمين. اسمع يا هشام، الحاجب جعفر المصحفي في انتظارك، ستجلس على سرير الملك، تلتزم الوقار ولا تبرح أو تتحرك، ستُبقي على رباطة جأشك، مهما يكن».

إن شخصية صبح هنا أم عنيفة وشديدة بالنسبة لابنها، وتتكلم مع ابنها بلهجة شديدة، لا تعتني به أو بشعوره كطفل صغير، بل تنظر إليه كأداة تساعدها لكسب السلطة العليا في القصر ولا تنظر له على أنه ابنها. وكان الحاجب الصحفي جعفر بن عثمان يجتهد في خدمتها وإرضائها، وكان له تأثير كبير معها ومع الحكم.

وازداد نفوذ صبح في بلاط قرطبة حتى ظهور الشاب الذكي محمد بن أبي عامر الذي نال إعجاب صبح لذكائه وطموحه.

وبعدما انزاح خطر الصقالبة، اصطدمت صبح بحاجز هو جعفر: «فهو علي شبكة واسعة ونافذة، وأبناؤه وأقرباؤه في المناصب الحساسة، ولا يمكن حسم أمر من دونه. لم يكن ليشكّل خطورة، ولكنها لن تستطيع أن تمارس السلطة وجعفر ماسك بخيوطها، وهو لا يريد أن يشاركه السلطة أحد أو يرضى بدور صوري، ولكنه يظل هو المتحكم، وهي لا تريد أن تستجدي أحدًا تريد أن تكون الآمرة ولها يد يمكن أن تبطش بها، هي ابن عامر». وبهذا نجد أن صبح تتطلع إلى السلطة وخاصة السلطة الواحدة لنفسها، لا تريد أحد إلا الحاجب جعفر الذي ساعد ابنها أن يعتلي العرش. لا تمتنّ جعفر المصحفي أبدًا بعد إزاحة المغيرة، أخ عبد الرحمن، تريد صبح أن تزيحه من طريق السلطة الاستبدادية المطلقة، ولابد من استخدام نفوذ ابن أبي عامر في هذه العملية؛ لأن في قبضته الشرطة. فاختارته عندما أراد الحكم أن يعين مشرفاً لإدارة أملاك ابنها عبد الرحمن، وبعد وفاة عبد الرحمن أصبح المشرف على أملاك هشام.

وبالنسبة إلى العلاقة بين صبح وزوجها الحكم، فنرى أن العلاقة بين صبح والحَكم انهارت من البداية، لا تشعر بالعناية ولا الحب، تشعر صبح بالبرودة والزيف من الحَكم، وتشعر بالرجولة والجود والحب والنخوة من جانب ابن أبي عامر. وهي ليست أداة الإنجاب للخلافة، فهي امرأة تتطلع للحب والعشق والعناية والاهتمام من الرجل مكتمل الرجولة وفي سنّ متقارب، لذلك كان اهتمامها الوحيد، حتى خلال حياة زوجها، هو ولاية العهد لابنها هشام، لا يعهد بالأمر للمغيرة، من المفروض أن تلاقي النفوذ لتدعم عرش ابنها، وهي وجدت ابن أبي عامر صاحب الشرطة الذي يدعمها بالعناية والحب.

واستطاع محمد بن أبي عامر أن يرتقي بسرعة في وظائف الدولة ويحتل العديد من المناصب بفضل مهاراته وذكائه، السبب الرئيسي في تقدمه هو تعاطف صبح وحمايتها له، والتي سرعان ما تحولت إلى شغف وولع.

وتحب صبح ابن أبي عامر حبًا حقيقيًا؛ فعندما تسمع الإشاعات بأنه قتل ابنها الكبير عبد الرحمن لا تصدّقها. إن صبح امرأة قوية العزيمة، لم يطرحها موت ابنها أرضًا، بل بالعكس، أدركت أنها لا يمكن أن تفقد دعم ابن أبي عامر لتأخذ الحكم المطلق، فهي امرأة عقلانية وموضوعية ومتطلعة للسلطة. وعندما توفي الخليفة الحكم المستنصر، كان ولياً للعهد وكان ابنه هشام لا يزال في الثانية عشرة من عمره، مما استلزم وجود وصي على عرشه. تولت صبح ولاية ابنها بمساعدة الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي وحليفها صاحب الشرطة ورجل الدولة القوي محمد بن أبي عامر. وبعد أيام قليلة من تولي هشام السلطة، أصدر مرسوماً بتعيين جعفر المصحفي أميناً للحكم وترقية ابن أبي عامر إلى رتبة وزارة. وكانت العلاقات بين صبح وابن أبي عامر تتقوى باستمرار حتى أصبحت فضيحة ترويها الألسنة ودارت حولها الأغاني والأشعار الشعبية. ومكّنت صبح محمد بن أبي عامر من تولي كل السلطة وكل الأمور، مما ساعد ابن أبي عامر على إزاحة منافسيه على السلطة واحدًا تلو الآخر.

بعد ازدياد نفوذ ابن أبي عامر، ازدادت شهرته في الأندلس، خاصة بعد انتصاراته العديدة على الممالك الإسبانية، وتمكن من إزالة جميع منافسيه الواحد تلو الآخر وعلى رأسهم المصحفي جعفر بن عثمان الذي سجنه واستولى على جميع ممتلكاته حتى انتهى به المطاف في السجن.

وبدأ ابن عامر في إظهار طموحاته، وانقلب على صبح وابنها الخليفة، بوضع حظر على الخليفة، وعدم السماح لأحد بالاختلاط به، ومنعه من الخروج من القصر بغير إذنه، وحاصره بالجنود لمنع الجمهور من الوصول إليه، ثم بنى سورًا وحفر خندقًا حول قصر الخلافة ليحكم حجزه على الخليفة.

بعد كل هذه التطورات، بدأت صبح تدرك خطورة الأحداث على عرش ابنها، لكن بعد فوات الأوان وبعد أن وضع محمد بن أبي عامر كل الصلاحيات في يده. ولم تعد صبح قادرة على مواجهته بشكل مباشر، فانتشر بين الجمهور أن ابن أبي عامر سجن الخليفة، وحكم ضد إرادته، واغتصب سلطته. ثم حرضت عليه الزعيم غالب من جهة، وكتبت لزيري بن عطية، حاكم الأقصى بالمغرب، لنصرة ابنها، وأرسلت إليه المال لتجهيز جيشه والعبور إلى الأندلس.

ثم تنبه ابن أبي عامر إلى ذلك، فرفع يدها أولاً عن أموال خزينة القصر الخليفي التي كانت تهربها عن طريق أولادها. وأرسل ابن أبي عامر نجله عبد الملك بقوة وحشد من العلماء والوزراء إلى قصر الخلافة في قرطبة، وخاطب الخليفة هشام بشأن المال الذي كانت والدته تهربه، وطالب بتحويل الأموال كلها من قصر الزهراء الى قصر الزاهرة. وفشلت كل محاولات صبح لاستعادة ملك ابنها الأموي والتغلب على سلطة ابن أبي عامر، لذا تقاعدت وقبلت مصير ابنها، بعد أن ساهمت هي نفسها في صنع هذا المصير من خلال وضع ثقتها العمياء في ابن أبي عامر. وتوفيت السيدة صبح والدة المؤيد هشام قبيل وفاة ابن أبي عامر، وكان ذلك حوالي عام ٣٩٠هـ.

٣. هشام: ينتسب الخليفة هشام المؤيد بالله إلى أبيه الخليفة الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر الأموي (٣٠٢هـ-٣٦٦هـ/٩١٥م- ٩٧٥م)، وهو تاسع أمراء الدولة الأموية في الأندلس، والذي تولى الحكم بعد أبيه عبد الرحمن الناصر في رمضان ٣٥٠هـ [1].

وتصفه رواية زينة الدنيا بأنه: «كانت علامات الضجر بادية على الغلام وهو يمشي منكسرًا نحو أمه. لما اقترب من صبح انحنت له، وقبّلت يده، كي تبث في النفوس أنها لا تتصرف كأم مع ابنها، وإنما كواحدة من الرعايا في علاقتها مع الخليفة. استكان الغلام ثم بادرها بصوت خفيض بالرومانية: - أليس لي الحق أن ألهو للبعض الوقت؟ ردّت السيدة صبح بحدّة، والأسماع بعيدة عنها: - أنت الخليفة، أنت أمير المؤمنين، لم تعد مِلكًا لنفسك. ... ينبغي أن تستقبل الحاجب جعفر المصحفي في أمر هام. هو في انتظارك.... حتّام تفكر في اللعب؟ بعد الديوان سيأتي المؤدب الزبيدي كي يعلّمك اللغة العربية»[2].

«-اللغة العربية عسيرة. لماذا تريدينني أن أتعلمها؟- لأنها لغة أجدادك بني أمية. ... ينبغي أن تفهم ما يقوله لك وجهاء القوم والرعية من المسلمين ممن يأتون من عدة أصقاع، من الأندلس والعَدْوَة، وكل إرجاء بلاد المسلمين. اسمع يا هشام، الحاجب جعفر المصحفي في انتظارك. ستجلس على سرير الملك. تلتزم الوقار ولا تبرح أو تتحرك. ستُبقي على رباطة جأشك، مهما يكن»[3].

---

(1) وتكاد تجمع المصادر التاريخية على أن زمن المستنصر كان امتداد لفترة زهوة الدولة الأموية في الأندلس حتى أن ابن الخطيب على سبيل المثال يصف ما وصلت إليه الأندلس في زمنه من رقي ورخاء وازدهار وتحضر بالقول "وإليه انتهت الأبهة والجلالة، والعلم والأصالة، والآثار الباقية، والحسنات الراقية." بذلك، أصبحت صبح البشكنسية وصية على ولدها هشام وهو في سن الثانية عشر، أما السلطة الفعلية، فكانت في حقيقة الأمر في يدي رجلين وهما الحاجب جعفر المصحفي وقائد الشرطة محمد بن أبي عامر، الذي تمكن بعد فترة وجيزة من التخلص واقصاء الحاجب جعفر المصحفي ليصبح هو الحاجب بدًلا منه كذلك استطاع بن أبي عامر أن يتخلص من منافسيه الأخرين بدءً بقائد الجيش القوي غالب الناصري وانتهاءً بصقالبة القصر، وليصبح هو في نهاية الأمر سيد المشهد السياسي. إلا إن ذلك لم يعجب أم الخليفة صبح التي سعت للحد من تفرد ونفوذ ابن ابي عامر المنصور وذلك من خلال تجيش وتأليب العوام وأعيان المغرب والأندلس ضد بن عامر وهو الأمر الذي لم يفلح في نهاية المطاف، والذي انتهى بقيام ابن أبي عامر بالحجر على أم الخليفة والخليفة هشام نفسه حيث منعه من الاختلاط بالناس أو الخروج من قصره إلا بإذنه، وإن خرج ألبسه ثوبًا يخفي شخصيته ومن حوله جند كثيف يمنع أحد من رؤيته أو الاقتراب منه.
ابن الخطيب: اعمال الأعلم فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلم. المعروف بتاريخ أسبانيا الإسلامية،تحقيق:ليفي بروفنسان، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية،1934م،ج2، ص43.

(2) زينة الدنيا، مصدر سابق، ص ١٣.

(3) نفسه.

فمن هنا ممكن أن نري أن صبح أم عنيف وشديدة بالنسبة لابنها، ويتكلم هشام مع أمه بالرومانية، هو طريق خصوصي وحميم وقريب، لأن صبح لابد أن تتكلم معه بالرومانية في سنه الصغير. لكن ترفض صبح التعبير عن رغبته للتقرب منها عاطفيًا، وتتكلم معه باللغة العربية مثلاً المناسبة الرسمية في القصر والأسماع بعيدة عنها، ويجعل تشخيص صبح وهشام، علاقة بعيدة، ليست مثل علاقة الأم والابن، بل علاقة بين الراعي والخليفة.

وبعد ذلك، يبعد هشام مسافة عاطفية من أمه، ويتكلم معها باللغة العربية، ولكن ما زال يشكو لأمه أنه ليس عنده وقت للعب مع خدامه الوليد ومروان وهو ما قالت صبح له حينما قدّم الوجهاء البيعة له أمس. وهذا الكلام يغضب أمه غضباً شديداً وتعتقده فتى مولع باللعب فقط. ثم تأمره أن يستقبل الحاجب جعفر ويحضر محضره المؤدب الزبيدي. «وبلغ صبح تخلُّف هشام عن حضور الدروس وصلاة الجمعة فغضبت من ابنها، وحذرته وهدّدته بمعاقبته بأن تحرمه من اللعب، ولكن لم يعجز بها، ولم تعاود المؤاخذة لآنها كانت منصرفة لشؤون السياسة وسياق الرئاسة وضرورة التخلص من جعفر على أن تهتم بتعلُّم ابنها هشام»[1].

من هنا ممكن نرى أن صبح مشغولة جدا في شؤون الدولة ومحاولة تخلص الحاجب جعفر المصحفي، وتضع كل شيء عن السياسة أمام تعليم ابنها.

«كان الخليفة يملُّ من دروس الزبيدي، وكان لما كان والده الحَكم على قيد الحياة يحضرها خشية منه، وكان لا يفقه شيئاً مما يتحدث عنه الفقيه الزبيدي. كان الفقيه الزبيدي يحدّث بما يحدّث به في مجالس العلم لعلماء يعرفون اللغة ويدركون أمور الفقه. ولم يكن يبذل أي جهد كي ينزل إلى مستوى فتية لا يحسنون العربية، وليس لهم دراسة بقضايا معقدة، ولا يستحثهم طموح المعرفة، فكان يصيبهم الملل لذلك»[2]. وأما العلاقة بين هشام وأبيه، فهو يخاف منه ولذلك يحضر دروس الزبيدي. فيصيبه الملل لأن مضمون المحاضرة معقد وليس مناسب للشباب. لذلك يريد أن يتغيّب من الدروس دائمًا.

وفي أول غزوة لابن أبي عامر لقشتالة، قد احتشدت الرعية منذ الصباح لتشهد موكب جنود المسلمين ينفرون للجهاد، لكن يحضر أمير المؤمنين متأخراً. وتغضب صبح وتذهب إلى غرفة نومه وهو نائم، تقول له صبح: «-وأنت لا تقوم بواجبك. اغتسل، كي تأتي كسائر الخدمة ليُلبسنك لباس الأهبة. هيا. رجالات الدولة حضروا، والناس احتشدوا في الجنبات منذ الصباح الباكر في البرد، تنتظر أمير المؤمنين وأمير المؤمنين لم يستيقظ بعد»[3]. فمن هنا ممكن نرى أن ما يفعل هشام لا يرضي أمه. إذ ليس عنده وعي المسؤولية. ولا يدرك تغير هويته من الفتى في القصر إلى الخليفة الذي يحكم الوطن. ومثل كل الأمراء العواطل في التاريخ، فإن هوايته المفضلة هي اللعب مع خادماته، أو اللعب بخدماته: «كان أمير المؤمنين يحب أن يلهو لا مع مباركة بل بمباركة. فإذا فرغ من عبثه نفحها مئة مثقال وهي تستكين لنزواته خوفاً ورعباً، يصبغ وجهها بالألوان، ويضع على خديها ما شاء منها حسب هواه يختار منها الفاقعة فيصبغ شفتيها، وكان يروق له كذلك أن يعبث بالخادمة عنبر، وكانت غليظة، فيأمرها ويغريها بالمال ويهددها بقطع مؤونتها إن امتنعت، أو يهددها بالسجن»[4].

المبحث الثاني
الشخصيات الثانوية

١. ابن زيري: كان زاوي بن زيري الصنهاجي أو المنصور زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي زعيمًا في قبيلة بربر صنهاجة وحاكماً لطائفة غرناطة في عهد ملوك الطوائف. وصل إلى إسبانيا عام ٣٩١هـ/١٠٠٠م في عهد المنصور. شارك في التمرد ضد خلافة قرطبة واستقر في كورا إلفيرا مع أتباع من قبيلة سانهاجا. أسس طيفة غرناطة، وأسس سلالة غرناطة الزيرية كأول أمير لها، حكم من 1013 إلى 1019.

---

(1) زينة الدنيا، مصدر سابق، ص ٤٠.
(2) المصدر السابق.
(3) زينة الدنيا، مصدر سابق، ص ٤٨.
(4) المصدر السابق، ص ٥٠.

كان والد الزاوي، زيري بن مناد (زيري)، زعيم قبيلة البربر صنهاجة، بالولاء للمنصور بنصر الله، زعيم الخلافة الفاطمية. أسس الزيري السلالة الزيرية في المغرب بإذن من المنصور بنصر الله عام 944 وبنى مدينة العشير. أثناء التمرد المستمر لقبيلة زناتة ضد الحكم الفاطمي، سار الزيري ضد قوات زناتة عام 970. بعد معركة دامية، هُزم جيش سنهاجة وسقط حصان الزيري عليه. بعد أن تركت قواته ساحة المعركة، تُرك زيري عالقًا بين قبيلة زناتة التي قطعت رأسه. ونقل مندوب يسعى للحصول على دعم من الحاكم المستنصر رأس زيري إلى قرطبة، حيث تم عرضه في السوق.

وفي رواية زينة الدنيا، يوجد جزء عن سيرة ذاته: «والحقيقة أنه مسلم ولد مسلماً، ونشأ في محيط مسلم بعدوة المغرب. حفظ شطراً من القرآن في بادية المغرب بقبائل زواغة وهو طفل، وارتحل إلى فاس كي يدرس بجامع القرويين فاستكمل حفظ القرآن ودراسة المتون وأصول البلاغة والبيان ومبادئ الفقه والأصول، ثم هاجر بعدها إلى الأندلس بحاضرتها قرطبة، استزادة للعلم وطلباً للرزق»[1] . وابن زيري كان يستخدم اسم آخر لما عاش في حي اليهود- هارون. لذا تظهر هذه الشخصية في الرواية.

«كان أصحاب الخدمة من الصقالبة الذين (يخدمون الخليفة الحكم) قد رصدوا كاتبًا مغمورًا، من أجل أن يسمع عن الخليفة وينقل عنه بوحه، ولا يفشي سرّه... زيري كاتب الخليفة الذي كان قد أملى عليه مذكراته»[2]. ومن ذلك نعرف أنه يفعل ذلك طلبًا للرزق، يختاره كاتب مذكرات خليفة الحكم، بعد فقد السلطة الفعلية لحاجب جعفر المصحفي وابن أبي عامر. يختاره لأنه شخص أجنبي ليس له موقع سياسي، يعني هو لا يعدم الحاجب جعفر ولا ابن أبي عامر. وهو في الوقت ذاته طالب ساذج، سيحفظ كل ما يقول خليفة الحكم بدون الشك أو السؤال. وبعد أن يسمع قصة الخليفة من فم الخليفة، يشكل رأيين مختلفين: فمن جهة، يعتقد أن الخليفة لا يرتبط بالواقعة، مثل جوع وحرمان وشظف، وهنا يأخذ درساً أو تجربة، لكن الخليفة يرى العالم من صورة الآخرين. فليس لديه فرصة ليعيش في الواقعة ويشعر بها. ولكن هذه الشخصية يملك سيفاً وسلطاناً، وهذا ليس معقول وخطر. ومن جهة أخرى، يتعاطف ابن زيري مع الخليفة، لأن خيانة ابن أبي عامر وزوجته صبح، وفقد السلطان الفعلي. فيقرن بين زمن يستطيع أن ينطق بأمر طاع كل شيء، وحالة لا يستطيع فيها أي شيء. وكان الخليفة يأسى لكل الحالات.

٢-الحاجب جعفر المصحفي: جعفر بن عثمان المصحفي حاجب الخليفتين الحكم المنتصر بالله، وابنه هشام المؤيد بالله، وهو قائد عملية إبطال فتيان قصر الخلافة الصقالبة وهما يعتمدان أن تولي المغيرة الخلافة بعد الخليفة الحكم المنتصر بالله. ولما يسمع خبر الموت للخليفة الحكم المستنصر بالله: «ندّ عن جعفر صوت يفيد الحسرة والأسى. -يا الله! مات مولاي، إنّا لله وإنّا إليه راجعون. ثم استغرق في البكاء»[3].

فمن هنا نرى أن الحاجب جعفر المصحفي يحب مولاه حبا شديدًا ويدين بالولاء له، ومخلص كل الإخلاص لخليفته. ويشعر بالحزن الشديد من خبر موت الحكم المستنصر بالله.

ولما يسمع رأي الفتيان الصقالبة فائق وجور لتولية المغيرة بدلاً من ابن الخليفة هشام المؤيد بالله، لا يوافق على هذا الرأي، لكن يقول لهما: «لم يَسَعْ جعفر إلا أن نطق في صوت خفيت: -نِعم الاختيار. ... ما رأيتما هو الصواب ولن يقوم بأمر الخلافة إلا من هو أهل لها، ويعرف شؤونها، ويرعى حرمتها، ويقوم بواجبها. ومَن غير المغيرة بالأمر؟ ومَن سواكما يعرف مصلحة البلاد والعباد؟ ... سأفعل بإذن الله. عليّ بجمع الأكابر والوجهاء وقاضي القضاة لكتابة صكّ البيعة للمغيرة. خير البرّ عاجله»[4]. فمن خلال ذلك نرى أن جعفر المصحفي رجل شجاع وذكي في نفس الوقت.

---

(1) زينة الدنيا، مصدر سابق، ص ٨٢.
(2) المصدر السابق، ص ٩١.
(3) زينة الدنيا، مصدر سابق، ص١٧.
(4) المصدر السابق، ص١٨.

ولما سمع بخطة ارتداد فائق وجوذر عن هشام، لم يصاب بالذعر الشديد، وبالعكس أبدى تقديراً لهما، وقال لهما أن المغيرة أحسن الاختيار والترشيح لتولي الخلافة. وأيضاً يمدحهما ويفكران لمصلحة البلاد بدلاً من المصلحة الشخصية.

ونجد أن جعفر المصحفي لديه عيون كثيرة داخل القصر، ولا تستطيع صبح في ظل وجود جعفر المصحفي الوصول للسلطة. وبعد إزاحة نفوذ الصقالبة، تغيّر الوضع السياسي في قرطبة، وتغير رأي الناس لجعفر: «كانوا يعرفون لجعفر دهاءه، ولكنهم لم يكونوا ينظرون إليه بمنظر التقدير، لطبعه الخسيس، واستئثاره بالأمر ووضع أهله في المرافق الهامة واحتجازه للأموال. وكانت العلية من طبقات بني أمية والوزراء تكرهه لذلك. وكان الناس بقرطبة وبالأندلس يدركون أن التحالف ما بين جعفر وابن عامر ولّى، وأن الصراع بدأ يحتدم بين الرجلين»[1]. إن جعفر له مهارة ودهاء في معاملة قضايا سياسية في قرطبة لأن الحاجب منذ حكم الخليفة السابق كان يكره علية القوم، لأنه كان يستخدم منصبه في ربح عائلته كلها.

٣. المؤدب الزبيدي: هو المؤدب لأمير المؤمنين هشام ذوالسن المتقدم، وميزته السابقة إبان الحكم، ومكانته بين الفقهاء، ليعلّمه اللغة العربية والفقه وأصول المذهب المالكي. وتصور رواية زينة الدنيا الزبيدي كما يلي: «هو من علماء الحضرة بقرطبة، وأحد فقهائها البارزين، وعلم من أعلام الغرب الإسلامي قاطبة، ودعامة المذهب المالكي، ومن المنتصرين للسنّة والجماعة، المناهضين لأصحاب علم الكلام، المتصدين لأهل العقل، القامعين لكل مستحدثة. وقد بلغ حظوة مع الحكم في أواخر حكمه، وأثّر في توجهاته، وسعى الخليفة أن يسترضيه ضمن من استرضى من الفقهاء وينأى عما طبع خلافته في أول أمره من انفتاح وتسامح». ويتقاطع الوليد، أحد خدام الخليفة هشام، في تحضير الزبيدي مرات، لكن لا يلقى اللوم عليه ولا مرة. ويكذب الوليد للزبيدي لأن أمير المؤمنين يريد أن يتغيّب عن دروسه.

إن المعلم الزبيدي له مكانة عالية في الفقه وتعليم اللغة العربية خاصة أصول البلاغة، لكنه لديه عقلية قديمة ومتحجرة، لا يعرف كيف يتعامل مع الشباب ويعلّمهم بطرق مملة. وهو يكره كل ماهو جديد أو مستحدث وينأى عن التسامح والانفتاح الذي هو طبع الخليفة، والخلاصة أنه المؤدب الكبير ولكنه ليس بالمعلم الجيد.

٤- المغيرة: المغيرة هو أخ الحكم المستنصر بالله، وعم هشام المؤيد بالله، تصور الرواية المغيرة بأنه "فتى ودود": «كان المغيرة فتى ودودًا، وكان يخص صبحاً بالاحترام، ولم يبدر منه شيء يسيء إليها أو يغض من مكانتها. ولكنها لم ترَ بدًّا من القضاء عليه؛ فقد كان حجر عثرة أمام ما تتشوف إليه من سلطان. وأشيع عنه أنه قتل نفسه». وعليه فإن رؤيتنا لتلك الشخصية "المغيرة" هو كونه ضحية الصراع على السلطة، بعدما رفض فائق وجوذر توليته العرش، أدركت صبح أن المغيرة هو ولي العهد **الممتاز والخيار الآخر**: له من النسب والذكاء والمعرفة والأخلاق، قد يعتقد الفقهاء أنه ولي العهد المؤهل بدلا من هشام. في هذا الوقت أصبح المغيرة أكبر تهديد محتمل في مسابقة التولية. لذلك قررت أم هشام أن تقتله بلا ريب.

---

(1) زينة الدنيا، مصدر سابق، ص٥٨.

وأيضاً توجد الإشاعات أن المغيرة خنق نفسه وأنه من أودى بحياته. واستهجن الفقهاء أن يُقْدم مسلم علي قتل نفسه، وكيف يتولى الأمر من ليس مسلم السريرة، طاهر النقية، لا يرعى حرمة الحنفية السمحة، ويُقدم على قتل نفسه؟ ولا شكّ أن صبح وابن عامر وراء هذه الإشاعات لتجريد المغيرة من الأهلية لمسابقة تولية العرش.

المبحث الثالث
الشخصيات الخيالية

١-صمويل: صمويل هو شخصية خيالية في رواية زينة الدنيا، وهو صاحب خمارة صغيرة بحارة اليهود، في الجزء الشمالي لقرطبة قرب باب الهدى، أو باب اليهود. وتتضمن زبائنه المسيحيين واليهود وبعض الدهماء من المسلمين. وفي ذلك الوقت، كان شراء الكحول للمسلمين أمرًا غير قانوني، وعليه نجد أن صمويل ليس رجل أعمال نزيه.

وبعد سلسلة من الأحداث في القصر: وفاة الخليفة الحكم، تولية هشام، مقتل المغيرة وتمرد الصقالبة، الناس في قرطبة غير مطمئنين عن الوضع السياسي، ويدركون أن الحلف بين ابن أبي عامر وجعفر يمكن أن ينقطع. «كان صمويل صاحب خمارة اليهود يدين بالولاء لجعفر، حفاظاً على مصالحه، ولكنه بعدما فشل وبعد صعود نجم ابن عامر، أيقن أنه لا ينبغي له أن يجعل بيضه كله في سلة واحدة، وأن يكون حذراً فيمن يرتاد الخمارة وفيما قد يعرض بها»[1] . فمن هنا نرى أن صمويل ليس رجل الأعمال وصاحب الخمارة الصغيرة فحسب، بل أيضًا لديه وضع حساس جداً في الأوضاع السياسية في قرطبة. وبعد ما يتقرب ابن أبي عامر من قائد غالب: «كان الرجلان يعولان في غزوتهما الثانية أن يستوثقا من حلفهما، ويدبرا الخطط لإزاحة جعفر. أدرك صمويل أن عقرب الميزان أخذ يميل لصالح ابن عامر ويحسن به أن ينأى عن جعفر»[2] .

فعندما يرى التقرب بين ابن أبي عامر وغالب، يدرك صمويل مباشرة أن الميزان بدأ يميل لابن أبي عامر وحان وقت الابتعاد عن جعفر، كما أسلفنا أن صمويل رجل حساس الوضع السياسي في قرطبة. كما أنه يضع جاسوسة بجانب السيدة الكبرى صبح ويعرف منها أن السيدة الكبرى وابن أبي عامر يريدان إزاحة جعفر.

٢. راحيل: راحيل هي مغنية تغني في قصر الحاجب جعفر المصحفي، وصاحب الخمارة صمويل الذي دعاها للغناء في خمارته؛ لأن الناس يحبون الإتيان من أجل الاستمتاع بجمال صوتها. **وتصورها الرواية** في وصف زيري: «لم يكن له من خيار سوى أن يغادر قرطبة من حملت منه راحيل عشقها أول مرة رآها في حانة صمويل وهام بها وأعجبه صوتها أول الأمر، ثم حين تقرّب منها راقه جمالها واستهوته رقّتها . راودها فامتنعت بادئ الأمر، لم تكن تريد علاقة عابرة، وحينما استوثقت من شعور هارون نحوها بذلت نفسها له»[3]. وعليه نجد أن راحيل بنت يهودية تعمل مغنية في قصر الحاجب جعفر وحانة صمويل. وما لها من صوت عذب ووجه جميل، وبعدما رآها زيري أول مرة في حانة صمويل، استهوته كثيرًا، وراودها. لكن راحيل ليست فتاة ذات سلوك طائش، امتنعت عنه في بداية الأمر؛ لأنها لا تريد علاقة عابرة مع الرجل حتى تحبه، وبعدما استوثقت واكتشفت حقيقة شعور هارون " زيري"، نحوها، بذلت نفسها له.

وبعدما «فارقت راحيل الحياة»[4] عند ولادتها لابن زيري، تعطي راحيل «القلادة المهداة لإستير(يعني سلطانة)»[5] وتريد زيري زوجها أن يقترن بإستير أختها. «عندنا (اليدوديين) في طقوسنا ما يسمى باليبوم، من أجل إبقاء عمد الأسرة، حينما يموت زوج يتزوج أخوه بزوجته، وحينما تموت الزوجة يتزوج الزوج من أختها»[6]. فترواد راحيل زوجها لكي يتزوج أختها ليحموا بعضهما البعض، وقد كان لديها آمال جياشة، كما شهدت له بحسن النقيبة واحترام التقاليد اليهودية. وعليه فإن

---

(1) زينة الدنيا، مصدر سابق، ص٥٨.
(2) المصدر السابق، ص٦٧.
(3) السابق، ص٨١.
(4) زينة الدنيا، مصدر سابق، ص١٧٨.
(5) المصدر السابق، ص١٩٦.
(6) السابق، ص١٩٧.

راحيل فتاة تحترم تقاليد طائفتها وهي أن تتزوج أخت الزوجة من زوج أختها بعدما تموت: لذلك فهي تؤيد العلاقة بين سلطانة وزيري.

٣. سلطانة: سلطانة أو " أستير"، هي خادمة السيدة الكبرى صبح، ليست هذه فقط، هي أيضا خادمة صبح الأمينة والتي تثق فيها صبح كثيرًا. «كانت (صبح) تود أن تدبّر أمر السلطة من حي الرصافة بضاحية قرطبة حيث تنبتُ المنيات وقصور علية القوم، عوض أن تبقى بالزهراء، كي يتسنى لها الالتقاء بعشيقها ابن عامر بنيتها والتنسيق معه بعيداً عن الأنظار وقد فرغت من العِدَّة. كانت خادمتها سلطانة مَن ينسّق مع خادمة ابن عامر تُماضر، لمكان اللقاء وساعاته». وتساعد سلطانة في تدبير اللقاء بين صبح وابن عامر، ويجب تسليم هذا النوع من الأمور السرية إلى الشخص الذي تثق به أكثر. وهي جاسوسة صمويل، صاحب الخمارة في الحي اليهودي. ويعلم صمويل من خلالها أن السيدة الكبرى وابنٍ أبي عامر يريدان إزاحة الحاجب جعفر المصحفي[1].

وهي أيضاً أخت راحيل وهما فتاتان يهوديتان، وهي تقبل بالزواج من زوج أختها زيري: «ولم تكن إستير سوى سلطانة. كان ذلك اسمها في البلاط ونودي على إستير من الرصافة إلى الكنيس بقرطبة. غشيت الكنيس متدثرة الرأس، نعى لها الحبر راحيل، سالت دموعها دون أن يهتز صوتها. ثم أسلمها القلادة، أمسكتها ثم استدارت نحو الحبر كمن تستجدي إذنه لاستلامها . رفع الحبر رأسه وحركه بالإيجاب ..»[2].

وسلطانة هي فتاة قوية العزيمة، لما تسمع عن خبر موت أختها، سالت دموعها دون أن يهتز صوتها. وهي ليست متأكدة هل هذا مناسب بأن تقبل الزواج بزيري أم لا. وبعد ذلك ترتب سلطانة مقابلة بين زيري والسيدة الكبرى صبح، ويتحدث عن زواج ابن أبي عامر وبنت غالب من بعدها تكتشف خديعة وخيانة ابن أبي عامر.

- وتصف رواية زينة الدنيا سلطانة بأنها فتاة قوية العزيمة، وممكن **أن** نرى هذه النقطة بعد ما رتبت لقاء زيري مع السيدة الكبرى صبح، وبعد الغزوة الثالثة لابن أبي عامر، يشعر زيري باليأس من الوضع السياسي: « -الناس تبتهج للقتل ... لمنظر رؤوس القتلى ... للأسرى للسبايا. ابن عامر يحشد العامة بأسوأ شيء يمكن أن تحشد به، بالدعوة للدم والقتل، بدعوى الدفاع عن الإسلام... أشخاص لا يؤمنون بشيء، ويُقدّمون أنفسهم مدافعين عن الإسلام، وبأسوأ طريقة .. ثم عامة تعيش في الخرافات والأوهام... -لو لم تكن تعيش في الخرافات لما استطعت أن تندس بينها . ينبغي أن تعترف بالجوانب الإيجابية لذلك. - صحيح، ولكني لا أفعل ذلك عن اختيار، بل اضطرار.. كي لا ينكشف أمري ... ولم أعد أطيق اللعبة. لم تعد ملكاً لذاتك، مولاتي تعوّل عليك.. ثم أضافت: ألفتْك طيب المعشر، وأحبت طريقة حديثك .. وانبهرت لمعرفتك بالطقوس، كانت تتوقع شخصاً أجلف»[3]. وقد غضب زيري لأن ابن أبي عامر يحشد العامة بالدعوة للدم والقتل، بدعوى الدفاع عن الإسلام، ويرى زيري أنه أسوأ طريق لحشد العامة، وهذا الطريق يجعل العامة يعيشون في الخرافات والأوهام. تكشف عن غضبه سلطانة، بقولها له إن الخرافات والأوهام لها الجوانب الإيجابية للعامة لما لا يستطيعون أن تندس بينها. وفعلاً سلطانة فتاة عقلانية، وأيضا تنبهه عندهما أهم شيء وهو يكسب غالبا ويتخلص من ابن أبي عامر بمساعدة السيدة الكبرى صبح وحقدها على ابن أبي عامر. وهي تنصحه كيف يتعامل مع السيدة الكبرى التي لم تكن تتوقع سوى شخص أجلف لا يستطيع أن يقرر لها في شؤونها.

نتائج البحث:

1- رواية زينة الدنيا تدعو إلى نبذ الخلافات سواء بين أتباع الديانات أوالقوميات والعرقيات، وتحث على العمل على المصير المشترك للإسبانية جمعاء، مع التحذير من الحصر الضيق للسلطات في يد واحدة والمآلات الخطيرة التي قد يسببها توظيف الدين أو العرق ذو الطائفة في الصراعات السياسية التي يدفع الأبرياء ثمنها في النهاية.

2- المؤلف حسن أوريد يتمسك بالتاريخ الإسلامي ويراه من منظور عربي. ويهتم بعلاقة الماضي بالحاضر؛ لأنه لا يتحدث عن الأندلس فقط، بل عن موقفه من التاريخ المغربي المعاصر.

---

(1) السابق، ص٦٦.
(2) زينة الدنيا، مصدر سابق، ص١٩٦.
(3) المصدر السابق، ص٢٠٩.

3- حققت رواية زينة الدنيا معادلة صعبة قلما تحدث في تاريخ الرواية العربية، من خلال تصويرها لهذا الكم الهائل من تمايز الثقافات وتعايشها كالأنساق الثقافية والدينية والاجتماعية والحضارية المختلفة التي ضمتها الحضارة الأندلسية الإسلامية.
4- استطاع حسن أوريد في روايته أن يمزج الواقعي بالمتخيل (السرد والتاريخ)
5- سلطت زينة الدنيا الضوء على أخطاء الماضي التي أوقعت بالحضارة الأندلسية العريقة من الأطماع الشخصية والدسائس والمؤامرات؛ وذلك لتجنبها في المستقبل، ونتمكن من تأسيس دول قوية تحترم المؤسسات وليس الأشخاص كما حاول الكاتب إيصال ذلك.
6- صورت الرواية العلاقة القائمة بين الحاكم والمحكوم في إسقاط روائي شيّق قصد من وراءه الكاتب إلقاء الضوء على الأخطاء الحالية لسياسات بعض الحكومات العربية.
7- غرست زينة الدنيا في القارئ المعاصر حب المعرفة والاطلاع، وأحيت العديد من الحوادث التاريخية الهامة في تلك الحقبة، ومن أهمها:

- بتولية هشام المؤيد بالله الخلافة ظهرت مراكز قوي تتصارع على السلطة وتطمع في الالتفاف حول الخليفة لتتمكن من تولي السلطة من خلال دعمها له، وبالتالي أزاحته شيئًا فشيئًا.
- أزال الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر هيبة الخلافة باحتجازه الخليفة هشام المؤيد بالله.
- حافظ الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر على وحدة وكيان الأندلس.
- نقل الحاجب المنصور الأندلس من وضع الدفاع إلي الهجوم على الممالك الإسبانية النصرانية.
- تمتعت الأندلس برخاء اقتصادي وازدهار اجتماعي في عهد الدولة العامرية.

قائمة المصادر والمراجع

"القرآن الكريم "

أولاً: المصادر والمراجع العربية

1- أحمد الطاهري، عامة قرطبة في عهد الخلافة: دراسة في التاريخ الاجتماعي الأندلسي، منشورات عصام، ١٩٨٨.
2- أنس يوسف الزيود، العصر الأندلسي، الشارقة: دار الأسرة للنشر والتوزيع، ٢٠١٩.
3- أنيس زكريا النصولي، الدولة الأموية في قرطبة، المطبعة العصرية، ١٩٢٦.
4- إحسان عباس، تاريخ الادب الأندلسي: عصر سيادة قرطبة، بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٩.
5- حسن أوريد، زينة الدنيا، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي للنشر، ٢٠٢١.
6- حسين مؤنس، فجر الأندلس {دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية}، مكتبة الرشد، ٢٠٠٥.
7- ابن الخطيب: اعمال الأعلم فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلم. المعروف بتاريخ أسبانيا الإسلامية، تحقيق: ليفي بروفنسان، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، 1934م.
8- راغب السرجاني، قصة الأندلس: من الفتح إلى السقوط، القاهرة, مكتبة الفنون والآداب، ٢٠١٤.
9- سحر حسين شريف، دراسات نقدية في الرواية العربية, الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠١١.
10- السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس: دراسة تاريخية، عمرانية اثرية في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٤.
11- الطاهر مكي، الادب الأندلسي من منظور إسباني، ترجمة الطاهر احمد مكي، القاهرة: مكتبة الآداب، ١٩٩٠.
12- عبد الحميد جودة السحار، أميرة قرطبة، دار مصر للطباعة، مكتبة مصر، ١٩٧٩.

13- أبو عبيد البكري: جغرافية الأندلس وأوربا "من كتاب المسالك والممالك",القاهرة: دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦٨
14- ابن عذاري، البيان المغرب، بيروت: مكتبة صادر، ٢٠١٦.
15- علي الجمبلاطي؛ عبد المنعم قنديل، منصور الأندلس أو محمد بن أبي عامر، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٨٠.
16- محمد حسن العيدروس، العصر الأندلسي: العمارة والفنون الأندلسية في غرناطة وطليطلة وقرطبة، القاهرة: دار الكتاب الحديث، ٢٠١٢.
17- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي القاهرة ط4, ج1، ١٩٩٧م.
18- محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الادب واللغة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٩٦.
19- مراد حسن عباس، الأندلس في الرواية العربية والإسبانية "دراسة مقارنة"، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٤.
20- وديع أبو زيدون، تاريخ الاندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة، الاهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.
21- يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٧.

ثانيًا: المراجع الأجنبية

22- ANILLOS PARA UNA DAMA, ANTONIO GALA, EDAF, 2006
23- Tragedia de los sieta Infantes de Lara (Tragedy about the Seven Princes of Lara), Juan de la Cueva, 1579.
24- La estirpe de la mariposa, Magdalena Lasala, EMECE, Barcelona, 1999.
25- El manuscrito carmesí, Antonio Gala, Planeta, Barcelona, 1990.
26- Historia de los Musulmanes de Espana, Tomo Ⅱ Cristianos y Renegados- Turner, Madrid, 1988
27- Barrucand, Marianne; Bednorz, Achim ،Moorish Architecture in Andalusia,Taschen1992.

ثالثًا: مقالات من الإنترنت:

28- https://ar.wikipedia.org/wiki/مكيافيلية، تاريخ الدخول فبراير 2023.
29- جهة_مكناس-تافيلالت/https://www.marefa.org, تاريخ الدخول، سبتمبر 2022.
30- المنصور_بن_أبي_عامرhttps://ar.wikipedia.org/wiki/.